العدد (4071) السنة الخامسة عشرة - السبت (25) تشرين الثاني 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

باليت المدى

▪ ستار كاووش

عنكبوت قرب المتحف

كنت قد زرت متحف جورج بومبيدو في باريس عدة مرات لما يحمله من أهمية وتأثير فيما يخص الفن الحديث. لكن بما أن زيارتي الاخيرة كانت لجنوب اسبانيا، فلا يمكنني هنا أن أفوِّتُ فرصة زيارة متحف بومبيدو بمدينة ملقا، والذي تمَّ بناؤه سنة ٢٠٠٥ بالتعاون مع باريس، ليكون حاضناً ايضاً لفن القرن العشرين والواحد والعشرين. إتَّضَحَ المتحف من بعيد بشكله المكعب الذي يشبه كثيراً مكعب كوبيك الشهير، فإقتربت منه وهيأت نفسي للدخول، لكن الابواب كانت مغلقة مع الأسف. فإقتربت اكثر من البوابة التي وُضِعَ عليها اعلان يشير الى أوقات العمل، والذي يؤكد إن يوم الثلاثاء هو عطلة المتحف، وذلك عكس المتاحف الباقية التي عطلتها تكون يوم الاثنين. عدت في اليوم التالي، وقبل دخولي تحسستُ تمثال العنكبوت الضخم للنحاتة الفرنسية لويز بورجوا، حيث إنتصب في الخارج بإرتفاع اكثر من ثلاثة أمتار لتهيئة الفضاء الخارجي للدخول الى المتحف، كما فعل (بومبيدو باريس) حين وضع في الخارج عملاً جميلاً للنحات الكساندر كالدر.

دخلتُ المتحف، فإذا بسُلَّم طويل جداً أخذني نحو الاسفل، وقد رُسِمَ على درجاته مشروع فنيٍ يعود لأحد فناني ملقا الشباب. في الداخل، كانت القاعة الأولى مخصصة للبورتريت الشخصي، حيث واجهني اولاً عمل كبير ومضيء للفنان شاغال، يشغل اللون الأصفر نصف مساحته تقريباً، وهنا رسم شاغال نفسه مع زوجته (فافا) وهما يطيران فوق باريس، حيث تظهر البيوت والكنائس والعربات شاحبة في عمق اللوحة، وقد رسم شاغال هذا العمل عند عودته من امريكا بعد انتهاء الحرب، ليثبت من جديد، انه كان ومايزال ملوناً عظيماً. ثم يأتي بورتريت الفنان كَيس فان دونغن الذي رسم نفسه بهيئة إله البحر عند الرومان (نبتون)، وهو يتقلد مجموعة كبيرة من القلائد الملونة ويرتدي ملابس بدائية غريبة، وأقراط طويلة ويمسك بيده صولجان، وعلى رأسه قبعة غير منتظمة الشكل حيث يتدلى جزء كبير منها الى الاسفل، بينما تظهر في عمق الخلفية الرمادية، سفينة بعيدة داكنة. في الجانب الآخر كانت لي وقفة مع بورتريت فريدا كاهلو، حيث تجلس وسط اللوحة بنظرتها الغامضة، الغارقة في الوحدة، وعلى جانبيها طائرين أصفرين، وقد أحاطتها بشكل إطار، مجموعة من الزهور التي إستعارتها من الفن الشعبي المكسيكي. بجانب فريدا يطل فرانسيس بيكون برأسه وكأنه يقول: أنا أيضاً موجود هنا ياسادة، ليظهر كيف رسمَ نفسه بشكل مختلف عن الجميع، حتى يُخيلُ لك بأنّه وضع وجهه الدائري وخصلات شعره المتدلية خلف إناء زجاجي مليء بالماء، حيث تمتزج إلتماعة ياقة القميص البيضاء مع ظلام الخلفية، وينحرف الجانب الايسر من الوجه وكأنّه تحت تأثير صفعة او هزة عنيفة. في مكان آخر عُرِضَ بورتريت راؤول دوفي الذي رسم نفسه بلونين، ويظهر وجهه البرتقالي وشعرهُ الفاتح على خلفية خضراء، ليبدو بعينين خاويتين ووجه بائس. وقد عالج العمل بضربات فرشاة تُعيدنا الى فان غوخ ولوتريك.

أخذت جولة طويلة في المتحف، استوقفتني فيها الكثير من الاعمال، فهنا تتدلى الى الاسفل سيقان الرجل والمرأة في لوحة بازيليتس الذي اعتاد ان يعرض لوحاته بالمقلوب. وهناك تظهر عجائن ألوان وليم دي كوننغ التي وضعها على قماشة كبيرة بفرشاته الصاخبة ومعالجاته التي أسس من خلالها مع بعض الفنانين إتجاه التجريدية التعبيرية، وأعمال كثيرة اخرى في متحف جميل وانيق.

هممتُ بالخروج وانا أحمل معي بعض مطبوعات المتحف، والتذكرة ماتزال بيدي، ليفاجئني قاطع التذاكر من جديد، لكن هذه المرة كان عملُ للنحات جورج سيغال، الذي قدَّمَ كالعادة كابينة حقيقية، ليعرض لنا عملاً نحتياً عظيماً، حيث يجلس قاطع التذاكر غارقاً في وحدته بعد ان دخل آخر الرواد لمشاهدة الفيلم.

دخلتُ المتحف، فإذا بسُلَّم طويل جداً أخذني نحو الاسفل، وقد رُسِمَ على درجاته مشروع فني يعود لأحد فناني ملقا الشباب. في الداخل، كانت القاعة الأولى مخصصة للبورتريت الشخصي.

عمارة.. عمارة

ثانوية الحريري: نَسَمة الاجتهاد الحداثي

د. خالد السلطاني

يمكن لقارئ عمارة الحداثة في وطننا، والمهتم بمنجزها التصميمي، ان يلحظ تبدلاً إسلوبياً في المسار الابداعي للمعماريين الرواد، انه تبدل واضح، وإن بدا في تجلياته التطبيقية بطيئا او متباينا في الشدّة بين معمار وآخر. ولكنه يبقى ذا تأثير ملموس، متمظهراً في النتاج التصميمي المشغول من قبل هذا المعمار الرائد او ذاك. بيد اننا علينا، الاستدراك، بان منطوق هذه الملاحظة ومعناها، لا يشمل بالمطلق جميع نتاج معماريّ الحداثة الرواد بالعراق.

اعدادية الحريري للبنات، (١٩٥٣)، المعمار: جعفر علاوي، الاعظمية، بغداد منظر عام (في الوقت الحاضر)

ثانوية الحريري للبنات، (١٩٥٣)، المعمار: جعفر علاوي، الاعظمية، بغداد منظر عام (في الخمسينات)

في العمارة المدرسية بالعراق كله، سوى مدرستين شيدتا بعدها، وهما " مدرسة الامريكان" بالمنصور <ثانوية بغداد> (١٩٥٦) المعمارة: الين جودت الايوبي، والمدرسة الاخرى هي "ثانوية الزعيم عبد الكريم قاسم" في الصويرة (١٩٦١)، المعمار: قحطان عوني".

تتبدى مفردات عمارة مدرسة الحريري، والتي سيق وان شاهدنا مثيلا لها في تكوينات مدرسية سابقة، تتبدى بمستوى عال من النضوج والكمال. فعمارة المدرسة المميزة، هي نتيجة ممارسة تصميمية طويلة، اجتهد المعمار كثيرا في وعي دروسها، وان يتعلم جيدا من نجاحاتها، واخفاقاتها الشئ الكثير. ولئن بدا "فورم" المدرسة "فورماً" عادياً ومألوفا، يعيد شكل هيئات التراكيب المولع بها المعمار، من امتدادات افقية لكتلة الصفوف، ومعارضتها بكتلة عمودية، هي كتلة السلم، التي يوقعّ بجانبها عادة، مدخل المدرسة، زيادة على تاكيد موقعه، وسهولة الاستدلال عليه، فاننا نتلمس، في الحريري، استنطاق مثير مشوب بالجدة لتلك التركيبة المحببة الى قلب المعمار. في ثانوية الحريري، لا نرى اثراً لاستخدامات الطابوق / الآجر بشكله الظاهر، وطرائق رصفه الحاذقة، والذي تعودنا ان نتلمس تأثيراته الجمالية في ابنية مدرسية عديدة؛ وعوضاً عن ذلك، يوظف المعمار "اللون"، ويجعل من حضوره التكويني، قيمة مكافئة لغياب تلك الممارسة البنائية الشائعة، التي تطورت وابدلت في الحريري الى اسلوب "لبخ" الجدران.

يبقى اسلوب النوافذ الشريطية الممتدة افقياً، اساس المعالجة الواجهية، لكنها، هنا، في الحريري، انطوت على تأكيدات اضافية، ببروز خرساني يحدد اطار الفتحات، ويؤكد موقعها ضمن "بياض" سطح الجدار الناصع. وبغية التأكيد على نظارة الهيئة العامة للمدرسة، فان المعمار يضيف شاشتين ملونتين باللون البني الضارب الى الاحمر، فوق امتداد كل شريط من اطاري فتحات النوافذ، مانحاً واجهته، بخلاف واجهات المباني المجاورة، مناخاً لونياً زاهياً.. ومطلوباً. وتتصادى هذه المعالجة مع تشكيلات واجهة "مبنى الهلال الاحمر" في العلوية (١٩٤٩)، ، <المعمارية : الين الايوبي> ، والتي منها ، بدأ الاهتمام بعنصر "اللون" كقيمة تكوينية هامة في منجز العمارة العراقية الحديثة.

في لقاءاتي العديدة مع جعفر علاوي، اشرت في احداها، مرة، فيما اذا كان من ثمة "تأثير"، من عمارة "مشغل الهلال الاحمر" على اسلوب تنطيق مفردات مدرسة الحريري، فاجاب مبتسماً بالايجاب، منوهاً بان حدث ظهور "المشغل" وقتذاك، كان لافتا وجريئاً و...حداثياً ايضا في البيئة المبنية المحلية، واثار ظهوره المفاجئ انتباه كثر من المصممين لأهمية "عمارة الحداثة" ومبادئها؛ وابان ذلك الظهور الى ضرورة تطويع مقاربتها في المشهد المعماري المحلي، والى جدوى "استنبات" قيمها فيه، بصفتها استحقاقاً مهنياً، ومعطىً حضارياً عالمياً.

لقد اخترت كلمة "نسمة" لتوصيف فعل الاجتهاد التصميمي، الذي قام به جعفر علاوي في اجتراحه لعمارة مدرسة الحريري. وتفيدنا المعاجم العربية، بان كلمة "نسمة" (وهي بالطبع من النسيم) الذي يعني "الريح الليّنة قبل ان تشتد"، كما يدل معناها ايضا الى "ابتداء كل ريح قبل ان تقوى"؛ وهي، بالتالي، ترمز من ان ظهور "الحريري" في المشهد المعماري المحلي، دلل الى ترسيخ قيم عمارة الحداثة فيه، ووشى ببدء ظهور نماذج تصميمية تنتمي حلولها التكوينية الى مرجعية قيم عمارة الحداثة. ومن هنا تنبع أهمية عمارة ثانوية الحريري كحدث تصميمي حداثي ...ورائد!

ولد جعفر علاوي في منطقة " صبابيغ الال " ببغداد، عام ١٩١٥، وحصل على بعثة دراسية حكومية سنة ١٩٣٣ لدراسة العمارة في مدرسة ليفربول المعمارية بانكلترة، التي منها حصل على اجازته المهنية عام ١٩٣٩. عين في وزارة المعارف (وزارة التربية حالياً) في عام ١٩٤٠، بقسم المباني. صمم ونفذ اثناء عمله في الوزارة العديد من المدارس في عموم العراق، وظل في منصبه خبيرا في الابنية المدرسية لحين استقالته الطوعية سنة ١٩٥٤، عندما اسس لنفسه مكتبا استشاريا، اعتبر اول مكتب استشاري عراقي في البلاد.

اضطلع في اعداد تصاميم وتنفيذ الكثير من المباني على امتداد ستة عقود متواصلة من العمل الاستشاري المميزّ، وعدت بعض تصاميمه محطات مهمة في منجز العمارة الحداثية العراقية. صمم المدرسة الثانوية الجعفرية في "القاطرخانة" ببغداد (١٩٤٦)، وثانوية الحيّ بواسط (١٩٤٧)،و مبنى سامي سعد الدين في ساحة الرصافي بغداد (١٩٤٩) وساهم مع عبد الله احسان كامل في تصاميم مبنى المصرف الزراعي بالسنك في بغداد (١٩٤٩-١٩٥١)، كما صمم ثانوية الحريري بالاعظمية (١٩٥٣)، وحازت تصاميمه المرتبة الاولى في مسابقة معمارية لدور سكن الخبراء في مصفى الدورة (١٩٥٢)، وصمم "عمارة مرجان" (١٩٥٣- ١٩٥٤)، في الباب الشرقي ببغداد، ونفذ سلسلة من الدور السكنية المتسلسلة بالعلوية في بغداد (١٩٥٥)، واعد تصميم مستشفى مرجان للامراض الصدرية في الحلة (١٩٥٦)، كما صمم مبنى سكني في الوزيرية شغلته السفارة الهندية (١٩٥٤)، ودار المعلمات الابتدائية في الاعظمية (١٩٥٦)، وبناية كلية التجارة في البصرة (١٩٦١)، والعديد من الابنية والدور السكنية ذات التكوينات المعمارية المعبرة في عموم البلاد. عين وزيرا للاشغال والاسكان سنة ١٩٦٥. رأس وشارك في عضوية لجان تحكيم لمسابقات معمارية عديدة في البلاد، وكان عضواً دائماً في لجان تحكيم مشاريع طلبة العمارة في جامعة بغداد.

كان جعفر علاوي مولعا في مطالعة الادب العربي والانكليزي، وله مقالات منشورة في مواضيع عامة، كما انه متذوق للموسيقى الكلاسيكية، وظل دوما مغرما في اغاني ام كلثوم. توفي بتاريخ ٢٠ حزيران ٢٠٠٥، اثر حادث سير مؤسف، في طريق عودته الى بلده، آتيا من الاردن.

مد الجسور بين الثقافة العربية والأوروبية من خلال جماليات العمارة العربية

نسرين بصمة جي

ضمن مشروعها الثقافي الطموح لتقديم الثقافة العربية بأبهى صورها في قلب أوروبا - لوكسمبورغ وعبر برنامج مائة ليلة عربية وليلة. أقامت الجمعية العربية للتبادل الثقافي (AACE) ليلتها الثقافية الأولى والتي كُرست لفن العمارة، وجاءت تحت عنوان (الطبيعة كمعماري).

تجربته الشخصية المتميزة والتي تُعد كأبرز التجارب المعمارية في العمارة العربية المعاصرة.

في المركز اللوكسمبورغي للعمارة (LUCA) في هولوريش بعاصمة دوقية لوكسمبورغ التقى ضيوف الجمعية من المختصين والمهتمين بفن العمارة وبالثقافة العربية قبل نحو عام ومن مختلف الجنسيات واستمعوا بتجربة خماش، واشتركوا بحوار مفتوح معه عن كل ماورد في المحاضرة التي ركزت على مفهوم الـ (بيوميمكري) الذي يعني بالعربية أساليب وطرق الإبتكار المستوحى من الطبيعة باعتبار الطبيعة الجغرافية والمحيط البيئي ومعطياتهما الوظيفية والبصرية هي الدليل والموجه والمعلم والمقياس.

افتتحت الأمسية المعمارية بكلمة نزار الراوي رئيس الجمعية عبرّ فيها عن شكره للمركز اللوكسمبورغي للعمارة لما أبداه القائمون عليه من رغبة شديدة في احتضان هذه الأمسية، وكذلك شكر الحاضرين ورحب بضيف الجمعية القادم من الأردن للإشتراك في هذا الحدث الثقافي المميز.

ودعى الراوي خلال كلمته القصيرة الى مزيد من الدعم والاهتمام بمنتجي الفنون والثقافة العربية ومزيد من التركيز على جماليات الفنون والثقافة العربية وعدها كأحد أهم المضادات الفكرية الفاعلة ضد موجات العنف والكراهية التي تهدد العالم.

ثم بعد ذلك تقدم الى المنصة بوب كريبس نائب رئيس الجمعية العربية للتبادل الثقافي والمستشار الثقافي الأقدم للدولة فقدم ضيف الأمسية الأستاذ عمار خماش الذي يزور البلاد لأول مرة مدعواً من قبل الجمعية كأول ضيوفها الرسميين.

وقد تضمنت كلمة كريبس مختصراً تعريفياً بالضيف وأهم انجازاته الفنية والثقافية والمعمارية، وشرحاً مقتضباً عن أسباب ومعايير إختياره ممثلاً للثقافة العربية ضمن برنامج الجمعية الطموح لاختيار وتسمية سفراء دوليين للثقافة العربية وترشيحهم لمناسبات وأحداث وملتقيات دولية عالمية قادمة.

كما نوّه الى فاعلية الجمعية وقدراتها المتنامية في زمن قصير لخلق التأثير في المجتمع اللوكسمبورغي وإنشاء علاقات شراكة مع أبرز الهيئات والمراكز والمؤسسات الثقافية اللوكسمبورغية العريقة، كدار الأوبرا اللوكسمبورغية، ومهرجان لوكسمبورغ السينمائي وسينماتيك لوكسمبورغ وعدد أخر من المؤسسات الثقافية الرصينة بالاضافة الى عدد من المؤسسات المالية والمصرفية البارزة التي أنهت الجمعية معها اتفاقات ستراتيجية لدعم وتمويل مشاريع الجمعية على المدى المنظور، كما أشار الى طموحات مؤسسي الجمعية وهيئتها العامة لتوسيع نشاطها من الناحية الجغرافية لتعمل في مدن وعواصم أوروبية أخرى، مؤكداً أن الجمعية ستواصل فاعليتها وحضورها خلال العام القادم من خلال عقد وتنظيم وإقامة عدد من الفعاليات والأحداث الفنية والثقافية ذات المستوى الرفيع والتي ستشمل فنون متعددة مثل الأدب العربي، السينما، الخط العربي، التشكيل، الموسيقى والغناء.

بعد ذلك بدأت الأمسية بتقديم موضوعها من خلال استعراض قدمه الأستاذ خماش بدأه بشكر الحاضرين وامتنانه للمنظمين وأشار الى عميق امتنانه على الثقة الممنوحة له من الجمعية واحساسه المضاعف بالمسؤولية تجاه تسميته سفيراً للثقافة العربي، كما عبر عن سروره لرؤية هذا التفاعل الكبير من قبل الجمهور ووسائل الإعلام الأوروبية. فيما تضمن العرض مقاطع فيديو وصوراً فوتوغرافية لأبرز المحطات التاريخية الإبداعية للعمارة العربية وتقديم شروحات وتعليقات على أبرز الحلول الهندسية والوظيفية، وأبرز القيم الجمالية التي قدمها المعمار العربي عبر عصوره الذهبية؛ منتقلاً الى المعمار العربي المعاصر وأهم الإشكاليات والتحديات والإنجازات المشرفة، وصولاً إلى تجربته الشخصية التي قدم شرحاً وافياً وتفصيلاً عنها مصحوباً بعرض للصور والمخططات والخرائط المتعددة التي أسهمت على نحو كبير في توضيح التجربة وأبعادها الفكرية والجمالية.

ثم بعد انتهاء الأستاذ خماش من عرضه المشوق والمثير للإعجاب بدأت الجلسة الحوارية التي أدارتها السيدة (أندريا رمبف) مديرة المركز اللوكسمبورغي للعمارة، والتي ابتدأت نقاشاً مفتوحاً مع الضيف ودعت الحضور لإبداء آرائهم وتعليقاتهم وأسئلتهم التي أجاب عنها الضيف بتفصيل ودقة عاليتين مما أضاف الكثير من الحميمية للأمسية التي تحولت الى حوار معرفي ثري وشيق بين مختصين وغير مختصين في مجال العمارة.

وقد استضافت الجمعية المعمار والرسام والباحث الموسيقي العربي الأستاذ عمّار خمّاش الذي قدّم استعراضاً فكرياً وبصرياً موجزاً لمسيرة العمارة العربية وأهم محطاتها وعصورها الذهبية وصولاً الى